الإبلاغ الشعري في مطالع القصائد والمقطوعات الهجائية عند حسان بن ثابت الانصاري (رضي الله عنه)

Poetic Communication in the Openings of Satirical Poems and Fragments by Hassan bin Thabit Al-Ansari (may Allah be pleased with him)

م.د. احمد محمد شريف

Ahmed Mohammed Shareef

جامعة تكريت / كلية علوم الحاسوب والرياضيات

Tikrit University/College of Computer Science and Mathematics

E-mail:ahmed.m.shareef@tu.edu.iq

https://orcid.org/0009-0006-2997-0846

الكلمات المفتاحية: الإبلاغ الشعري– حسان بن ثابت – مطلع القصائد– المقطوعات .

Keywords: Poetic Communication – Ḥassan bin Thabit – Poem Openings – Fragments.

الملخص

دأب حسان بن ثابت – رضي الله عنه– على تطوير أساليبه الشعرية في دفاعه عن الدعوة الإسلامية ومنها الإبلاغ الشعري ، ولمَّا كان هذا الأسلوب يكاد ينفرد به حسان عن غيره من شعراء الدعوة الإسلامية بهذا الكم والكثرة ما يدل على اعتمادها منهجا في البناء الشعري عامة والهجاء خاصة .

يهدف بحثنا إلى سبر أغوار المصطلح وتتبعه في مطالع القصائد والمقطوعات وإظهار دلالته أثناء السياق الواردة فيه ، رصد البحث أبعاد المصطلح عند شعراء آخرين إلا أنه اعتمد حسان بن ثابت نموذجاً في دراسة الظاهرة .

وقد انطلق هذا البحث من عدة فرضيات أهمها : ما حاجة حسان إلى استخدام هذا الأسلوب في نصه الشعري؟ وما نصيب الإبلاغ الشعري في القصائد والمقطوعات؟ كل ذلك بالاعتماد على المنهج الاستقرائي بوصفه أحد مناهج البحث العلمي التي ينجح الباحث من خلالها إلى استنتاج أسس عامة تساعده في الوصول إلى الدلالة القريبة من المعنى المراد .

وتوصل البحث إلى عدة نتائج أهمها: أن الإبلاغ ينقسم بحكم عمله إلى نوعين لا ثالث لهما ، شخصي وجماعي ، وأن استخدامه لغاية فنية بحته يتخلص من خلاله ـــ الإبلاغ ــ من تقليد هيكلية القصيدة ليدخل إلى صلب الغرض ، يحس به ويلتمسه المعني بالقول ، فيجعل الإبلاغ غرة القصائد والمقطوعات، والتي تمثل فرصة في سرعة الرد على الخصوم ، ووحدة للموضوع ، وأن يؤسس على ما قد قيل ، لا أن ينشأ أولا ، فيعمد إلى الهدم والبناء وفقا لرؤيته التي أرادها .

Abstract

Ḥassan bin Thabit consistently sought to develop his poetic techniques in defense of the Islamic call, among which was poetic communication. This stylistic feature is almost unique to Ḥassan, given the frequency and extent of its use in his poetry an indication that he adopted it as a method in poetic construction in general and in satire in particular. This study aims to explore the depths of this concept, tracing its occurrences in the openings of poems and poetic fragments, and revealing its meanings within their respective contexts. The research also observes the dimensions of the term as employed by other poets, yet takes Ḥassan bin Thabit as the principal model for examining the phenomenon. The study proceeds from several hypotheses, the most significant of which are: What prompted Ḥassan to employ this technique in his poetic texts? And what is the extent of poetic communication in his poems and fragments? All of this is analyzed through the inductive method, as one of the scientific approaches that enables the researcher to derive general principles and reach meanings that closely approximate the intended sense. The research arrives at several conclusions, the most important being that poetic communication, by its function, is divided into two types: personal and collective. Its artistic use serves to liberate the poem from the constraints of traditional structure, allowing it to enter directly into the core of its purpose one felt and perceived by the addressee. Thus, poetic communication becomes the forefront of poems and fragments, representing both an opportunity for swift response to opponents and a unifying element of theme. It builds upon what has already been said rather than initiating anew, engaging in deconstruction and reconstruction according to the poet's intended vision.

المقدمة

وثق الشعر أحداث الحقبة الإسلامية الجسام التي شهدها تاريخ الدين الإسلامي، وما تبعها من معارك على مستوى الاقتتال الداخلي بين مكة ويثرب ، وما بعدها من فتوحات خارج الرقعة الجغرافية لمبعث المكان وجذوة الاهتداء .

فقد اكتسب الشعر الإسلامي الكثير من الألفاظ والمصطلحات ذات الدلالة المتجددة في العقلية العربية ،وهي "تناسب ما طرأ على الحياة العربية من تطور وتغيير في حياة الأفراد وفي حياة الجماعة ، واختاروا لتلك المعاني ألفاظاً للتعبير عنها ميدان العقيدة والعبادة". (العاني د.ت ٢٧٢ـ ٢٧٣).

إذ عمد النبي محمد ﷺ إلى تقسيم مهام الشعراء وفقا لقوة صور اغراضهم فقد " اختص الشعراء الوافدون على النبي ﷺفي قبائلهم أو فرادى بقصائد المدح، وأن الشعراء الملازمين للنبي ﷺ حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاري وعبد الله بن رواحة قد اختصوا أو كادوا في الهجاء ، وصحح أدوار الشعراء الموالين وضبطها خدمة لمعركته ضد المخالفين من مشركين وأهل كتاب (أبو الخير، ٢٠٠٧م، ٢٠١) .

وتميز حسان بن ثابت عن نظرائه في معترك القول والإنشاد بالإجادة في الهجاء ، " فقد احتل الهجاء المنزلة الأولى في شعره الإسلامي شأنه في شعره الجاهلي وعبقرية حسان الأصلية إنما تتجلى في هذا الفن خاصة ، فهو ميدانه الذي يصول فيه ويجول " (البرقوقي، ١٩٨٠م، ١٣٢) .

المبحث الاول

أ. الإبلاغ لغةً:

هو الإيصال ومنه بَلَغَهُ وأَبْلَغَهُ السلام يبلغه بلاغًا وتبليغًا وإبلاغًا، إذا أوصلهُ (ابن منظور، د.ت، ٤١٩/٢)، وقيل هو الانتهاء والوصول من بَلَغَ الشيء يبلغ وبلاغًا، وقيل الإخبار والإنباء وذلك من أبلغهُ إبلاغًا وبلغةٌ وتبليغ ومنها بَلَغَّت الرسالة، ومن معانيه أيضًا: الإعلام والنَّقلُ (الزبيدي، ٢٠٠١م، ٤٤٥/٢٢).

ومع تعدد جذر المصطلح يتعدد استعماله في مختلف التخصصات، إذ أن تشعب الجذر يمنح المصطلح أبعاداً دلالية يتم استعمالها بصورة مغايرة حتى داخل التخصص الواحد، فمع الزيادة على أصل جذر المصطلح – بلغ– يضفي دلالة جديدة ، إذ أسهم تعدد الجذر على الانتشار في تخصص الشريعة والقانون، والاقتصاد الى أن ولج الى تخصصات علمية وإنسانية كالهندسة والسياسة والأدب والإعلام.

فقد ورد في الفقه الإسلامي على سبيل المثال لا الحصر، (البُلاغ): وهو المال الذي يعطى للأجير على الجمع بقدر ما ينفق منه على نفسه ذهاباً وإياباً. وهو هنا قد ورد بمعنى الكفاية.(الكشناوي، د.ت، ٤٤٥/١)

أما في تخصص كالقانون مثلاً إذ تم استعمال مفردة التبليغ كوسيلة يمكن للمدعي من خلالها أن يعلم المدعى عليه بأن لديه مطالبة قضائية تجاهه، ويمكن للمدعى عليه إحاطة المدعي برده وموقفه من الادعاءات (المجلة القانونية، إبراهيم تركي).

في حين أن مصطلح (الإبلاغ) في حقل الاقتصاد تقترب من هذه الدلالة بناءً على السياق الذي تستخدم به، فهو– الإبلاغ– يقترن بالمال والذمة المالية ووجوب إعداد المعلومات المالية ذات الغرض العام وايصالها إلى الجميع لا سيما خارج الوحدة المالية وليس لديهم مصدر عن المعلومات المالية عن الوحدة المالية (كاطع، ٢٠١٦م، ١١)، وبذلك يكون معنى الإبلاغ هنا هو الإفصاح لزيادة الثقة بين المستثمر والمؤسسة الاقتصادية، وهكذا في بقية التخصصات تختلف الدلالة وفقًا لاستعمال المصطلح.

ب. الإبلاغ اصطلاحاً:

إن الميدان الحقيقي للمصطلح واشتغاله الميداني هو الفقه الإسلامي، لذا نجد أن أول من عرَّف به ووطأ له هم الفقهاء، إذ قالوا أنه ((إيصال ما فيه بيان للإفهام، ومنه إبلاغه وهي إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة)) (العسكري، ١٩٧٠م، ٦٥).

أما في حقل الأدب لم نجد من تطرق إلى المصطلح ببعده وحيثياته الأساسية قديماً وحديثاً، وعلى هذا الأساس يمكننا القول أنه تركيب لفظي يعمد الشاعر إليه بقصيدته لإيصال فكرة معينة إلى المتلقي أو شخص محدد ومقصود.

وهو مصطلح قريبٌ من مصطلح (الإبلاغية) الذي تحدث عنه الدكتور محمد يونس علي الذي اشترط أن يكون للكلام معنى قائم على الاختيار، وأن يكون هذا الاختيار محتملاً للصدق والكذب، وأن يتضمن الكلام فائدة إخبارية وهي أن يشمل الكلام على خبر لا يعلم به المخاطب وأن يكون الكلام مقبولاً عقلاً ومنطقاً (علي، ٢٠٠٧م، ٢٠٦–٢٠٧).

فالمصطلح مختلف عن الإبلاغ وإن كان ينسجم في بعض شروطه وخصوصاً اقترانه بالكلام الإخباري، وليس الطلبي أو الإنشائي.

وهو قريب أيضاً من فن الرسائل الشعرية إلى حد يعد أحد مرادفاتها التي يتعكز عليها في الردود والنقائض فيما بينهم (السامرائي، ٢٠٠٥م، ٦)، إذ يسهم جذر المصطلح (أبلغ) وما ينتج عنها من اشتقاقات أخرى كـ (إلا من مبلغ) في تقريب طبيعة عمل المصطلح مع الرسائل الشعرية، كونها اكتسبت ميزتها بين القصائد الأخرى، فهي من حيث كونها كتبت وأرسلت، وأودعها صاحبها

ما عنده من جهد، لإخراجها سليمة تفي بالغرض... فضلاً عن أمور أخرى تتعلق بنوع العلاقة الشخصية بالمرسل إليه، كما تضمنت في أكثرها روحاً حية للحدث الذي أوجدها، أو المناسبة التي خلقتها (البلداوي، ١٩٨٣م، ٣) .

ولا تكمن جمالية الإبلاغ عند شعراء صدر الإسلام في الردود أو النقائض فقط، وإنما في استدعاء الحدث أو القصة التي أدت الى كتابة القصائد عبر توجيه قوة خفية تهدف إلى الضغط والمواجهة على الخصوم، وتهيئ الأجواء إلى المتلقي في البحث والتقصي عن الإشارات والأحداث والوقائع التي تضمنها نص حسان، وهو ما يعني أن نصوص حسان الإبلاغية تحاكي أحداث ووقائع وربما نصوص أخرى.

ت. مطالع القصائد:

تكمن أهمية المطلع في القصيدة العربية من كونه المفتاح الذي يلج منها الشاعر إلى ذهن ووعي المتلقي، والشاعر الحاذق هو الذي يجزل لفظه ويتخير من جميل معانيه وما يعنيه على الابتداء، ويؤنس المتلقي في أسماعه، فغالب الناس تميل إلى ((تفصيل جودة الابتداء ويمدح صاحبه)) (الجاحظ، ٢٠٠٢م، ١١١/١)، والسبب في ذلك راجع إلى كونها – المطالع– أول ما يقرع للسمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة (القيرواني، د.ت، ٢١٨/١).

وتترتب منزلة الشعراء فيمن يعطي للمطلع حقه خاصة من كان ((أوضحهم كلاماً وأقلهم سقطاً وحشواً، وأجودهم مقاطع وأحسنهم مطالع)) (الدينوري، ٢٠٠٢م، ١٦٦/١) وعلى الرغم من أن المطلع يمهد للقصيدة كجمال شكلي في مقدمة النصوص والقصائد، إلا أنه علامة فارقة في إظهار شاعرية المبدع والتي يستطيع من خلالها التأثير في المتلقي، لاعتبارات معنوية والإجادة فيها يعد من (دلائل البيان) (العسكري، ١٩٧٠م، ٤٣١).

وأوغل النقاد في موضوعة المطلع، فعَّرفوا به ووضعوا له الشروط، حتى ظن الشعراء أن اتباعها من حسن الفطن، ومنها: بأن ((يجعل مطلع الكلام من الشعر دالاً على المقصود منه، إن كان فتحاً ففتحاً، وإن كان هناء فهناء، أو عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني، وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ما المراد به ولم هذا النوع)) (ابن الاثير، د.ت، ٩٦/٣).

وأجمع النقاد على أهمية المطلع، وركزوا على تأثيرها الفعّال في نفسية ومزاج المتلقي فقالوا بمنزلتها ((منزلة الوجه والغرَّة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً لتلقي ما بعدها... وربما غطت بحسنها على كثير من التخوّن الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها)) (القرطاجنّي، ١٩٨٦م، ٣٠٩).

وتأسيساً على ما سبق أكد النقاد على ضرورة الاهتمام بالمطالع بوصفها باعثاً نفسياً يستدعي تركيز الشاعر في اختيار مطالعه وإجادته في مطابقة مقتضى الحال و ((تحكمه في ذهن

سامع شعره أو قارئه)) (الحبيب، ٢٠٢٣، ٢٠٥)، وهو – المطلع– محل اتفاق بين البلاغيين والنقاد وأن لها من الشرف والمكانة ما يجعلها محط اهتمام وعناية. فهي ((لا تكون من قبيل العبث الفني الذي يوضع في غرة القصائد من دون أن تكون له صلة بمتنه، بل لابد من أن تتبنى عن مقاصده وتكشف البنية الكامنة وراءه، فهي مفاتيح إجرائية وتوجيهية للبحث عن دلالات وكشف خصائص العمل الإبداعي، إذ أنها الدليل إلى صلب النص)) (حسان، ٢٠١٩م، ٣٥٣).

وما يؤثر في البحث أن حسان بن ثابت (رضي الله عنه) في عملية الإبلاغ الشعري يستثني بشكل يكاد أن يكون مطلقاً المقدمة أو المطلع، إذ نجد أن حسان نفسه مضطراً إلى الرد السريع على خصومه، لا سيما عندما يتعرض ((لاستثارات شعورية، يجد نفسه فيها للرد الفوري لينفس عن مشاعره المتوترة، أو عن انفعالات نفسه الثائرة، التي لم تتح له فرصة التمهيد لتجربة بمقدمةٍ طلليّة... فأقبل على قصيدته دون مقدمة، وباشر موضوعه دون تمهيد)) (أبو الخير، ٢٠٠٧م، ٢٧٨).

ولعل السبب الرئيس في ذلك عائدٌ إلى مكانة حسان الأدبية أو المهنة الأساسية التي أنيطت به في مواجهة ألد الخصوم في ذلك الوقت (البخاري، د.ت، حديث رقم ٤١٢٣)، لذا لا نجده يجعل لكلامه ((بسطاً من النسيب، بل يهجم على ما يريده مكافحة، ويتناوله مصافحة وهو عندهم الوثب، والبتر، والقطع، والكسع، والاقتضاب)) (القيرواني، ١٩٨١م، ١/ ٢٣١).

لذا من الصعب على حسان (رضيَّ الله عنه) تتبع واحتذاء خطى الجاهليين، والنسج على منوالهم بما يعتمل في نفسه من معانٍ، وما يضطرم فيها من هموم، بسبب دقة الظرف التاريخي... والشعور المتحكم بخطورة المرحلة (أبو الخير، ٢٠٠٧م، ٤٠٣).

وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور محمود عبدالله أبو الخير ذكر بعض السمات – الجيدة– في مقدمة القصائد عند حسان بن ثابت، ومن أبرزها كثرة زجر نفسه على التشبث بذكر الاطلال والتغزل بالمرأة في مقدمات قصائده، وحثها على العدول عن ذلك التقليد (أبو الخير، ٢٠٠٧م، ٤١٣)، لذا نجده استعمل عبارات دلالة عن الزجر والردع منها: دع عنك شعثاء (البربوقي، ١٩٨٠م، ٢٥٥) ... و (فدع الديار) (البربوقي، ١٩٨٠م، ٦٧) و (فدع عنك التذكر) (البربوقي، ١٩٨٠م، ٧١).

ونستدرك على الدكتور محمود عبد الله أبو الخير ونضيف عبارات الإبلاغ ومنها (إلا من مبلغ، أبلغ) (البربوقي، ١٩٨٠م، ١٢٨)، قاصداً بذلك وضع قيوداً أخرى على نفسه، تمثل التزاماً أخلاقياً في الردود من الناحية الموضوعية، إما الفنية فأنه قد اختصر كثيراً من العناصر التقليدية في المقدمة، وأضاف عناصر إبلاغية جديدة، تخدم غايته الأسمى.

المبحث الثاني

الهجاء في صدر الإسلام من خلال الإبلاغ الشعري

توطئة:

يأخذ الهجاء حيزاً كبيراً في مجال الدعوة الإسلامية، فحاجة الشعراء اقترنت بالحالة الإيمائية الجديدة ومتطلباتها، والشعر جزء رئيس فيها، إذ تميزت الشخصية الأدبية الإسلامية عن نظيرتها في الجاهلية في الردود والمساجلات، لا سيما عندما وعى أو أدرك شعراء الدعوة الإسلامية أهمية الدور الذي يلعبونه والمناط بهم فقد تبنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مواهبهم بالحث والتوجيه والتهذيب والصقل (الجبوري، ١٩٦٤م، ١١٨).

ويتخذ الشعراء في عصر صدر الإسلام من الهجاء وسيلة دفاعية عن العقيدة الإسلامية، وإن كان فيه ذم وانتقاص وسخرية من الخصوم، قاصدين بذلك إلى ثلم صورة المهجو الاجتماعية والنيل منها عبر إبراز الصفات الذميمة، وتجريده –المهجو– الفضائل النفسية وما يتركب بعضها مع بعض (القيرواني، ١٩٨١م، ٢/ ١٧٤)، وكذلك التركيز بصورة مهينة على صفاته الخُلقية (القيرواني، ١٩٨١م، ٢/ ١٧٤؛ بدوي، ١٩٥٨م، ٢٤٠).

إن الإسقاطات النقدية والهجائية لدى شعراء عصر الدعوة الإسلامية، قد حظيت بدعم وتأييد نبوي شريف، من خلال الترصد بماضي الخصوم، والمناوئين والاطلاع عليه والتذكير به (النيسابوري، ١٩٩٠م، ٣/ ٥٥٦)، لغاية التأثير عليهم بمضاعفة هجائهم بقدر تأثيرهم في مسيرة الدعوة الإسلامية وإلى الحد منه أو الرجوع عنه، وهذا هو الميدان الحقيقي للإبلاغ الشعري ومجال عمله والمناخ الذي تنشأ فيه من المساجلات والأخذ والرد وتباين المواقف.

أولاً: الهجاء من خلال الإبلاغ الشعري عند حسان بن ثابت:

يتخذ حسان بن ثابت الإبلاغ الشعري أداة فنية في إجادة قصائده ومقطوعاته، ولها عمل فني يقوم على التخلص من التقليد الشعري القديم المبني في تراث العموم الشعري من مقدمة ورحلة وغرض، إذ يجعل من الإبلاغ الشعري مدخلاً فنياً تتلاقى فيه أفكاره وتتعاقب بشكل ينسجم مع مقتضيات الحالة الطارئة الآنية واللحظية ، ومن الجدير بالذكر أن بعض الشخصيات التأريخية المعاصرة لحسان بن ثابت قد استعملت هذا الأسلوب، ومنهم أمية بن خلف الخزاعي (الزبيدي، ٢٠٠١م، ١٠/ ٤٧٥):

ألا مَنْ مُبلغٌ حسَّانَ عَنِّي مُغَلْغَلَةً تَدِبُّ إلى عُكاظِ

وهي قطعة من ثلاثة أبيات نال فيها من حسان، بالهجاء والإيلام في هجاء ((الاب))، وهو هجاء ذا طبيعة حوارية، بحيث يهجو شاعر شاعراً آخر، ثم يرد عليه الشاعر المهجو هاجياً الشاعر الأول، وينتج عن ذلك حواراً ومبارزة كلامية متصلة، يتركز جهدها في هدف واحد (العزازمة، ٢٠١٥م، ٤٠٩) وهو بهذا قد أخذ منهج الكفوء أو المكافئ في رأينا، إذ أراد تحقيق إكبر

قدر من الألم من خلال سلب الفضائل، وإبراز للرذائل، وتحديداً في موضوع النسب، فصنيعة العربي كانت دوماً ما تتغنى بالآباء والأجداد... والاعتداد بالنفس والفخر بها والتغني بها، وأن طبيعة المكان – الصحراء– تفرض عليه الخيال بامتلاكها الأمر الذي يترتب عليه نمو الذات الفردية وانتقاضها والاعتداد بالحرية والنسب الكريم (العزازمة، ٢٠١٥م، ٤١٠).

المتتبع للأبيات الشعرية يجدها تأخذ طابع الشخصية في الهجاء، وتلتزم بصيغة الإبلاغ في الابتداء في المقطوعات، ومن ذلك قول أبو سفيان بن الحارث (الذهبي، ١٩٨٥م، ٢٠٢/١– ٢٠٣):

ألا من مبلغ حسانَ عنّي خَلَفْتُ أبي ولمَّ تخلُفْ أباكَ

إذ يتخذ من شخصية حسان بن ثابت محوراً في الهجاء عبر الإبلاغ الشعري، وهو ما يؤشر بروز الشخصية وهيبتها وطغيانها على المشهد الشعري في ذلك الوقت، وربما صدر هذا الهجاء لما أوقعه في الشخصيات التي تناولها من سخرية وامتهان، أدت إلى ردة فعل إلى اعتبار الشاعر حسان بن ثابت هو الحدث والخصم في الوقت ذاته ، أما قول عبد الله بن الزبعرى في تناول حسان بن ثابت من خلال الإبلاغ الشعري (الجبوري، ١٩٨١، ٤١):

أبلغا حسان عني آيةً فقريض الشعر يشفي ذا الغُلَلْ

فهو لا يندرج ضمن بحثنا الذي اشترط في الابتداء في الإبلاغ وأن ذاكر الاسم الصريح، وحاول النيل منه من خلال إظهار التشفي والصراحة في التشمت في شهداء المسلمين في معركة أحد، فضلاً عن السخرية بعدها في تبين عن تشقق دروع حسان، وكلنا يدرك أن حسان لم يشترك في المعركة إذ يقول (الجبوري، ١٩٨١، ٤١):

وَسَرابيلَ حِسانٍ سُرِّبَت عَن كُماةٍ أُهلِكوا في المُنتَزَل

بقي إلى أن نشير إلى أن بعض الشعراء المعاصرين لحسان بن ثابت قد استخدموا هذا النوع في اشعارهم، غير أنهم وظفوه في ميادين أخرى غير الهجاء ومنهم ضرار بن الخطاب إذ يقول مخاطباً امير المؤمنين (أحمد، ١٩٩٦، ٨٨):

أَبلِـــــغ أَبا بَكـــرٍ إِذا ما لَقيتَـهُ بِأَنَّ هِرَقـــلاً عَنكُمُ غَيرُ نائِـــمِ
فَجَيشُـكَ لا يُخـذَل وَأَمرُكَ لا يُهـنَ أَلا رُبَّ مَولىً نَصرُهُ غَيرُ عاتِـــمِ
يَقيـــكَ الأَســـــى اللهَ دونَ غَيـرِهِ وَحَسبي إِلَهٌ نَصـــرُهُ خَيرُ غانِـمِ

والإبلاغ هنا غرضه واضح الحض والتذكير فضلاً عن مفاتحة صاحب الشأن – الخليفة– أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، قاصداً الاعلام وتوصيل الأفكار بصورة جليلة عن معنويات جيش المسلمين والحذر واليقظة من جيش الروم وقائده الرمز هرقل.

وأما قوله الثاني في رثاء أبي جهل، وإن حمل الإبلاغ بصورة جليلة إذ يقول (احمد، ١٩٩٦، ٨٣):

فبلّغ قُرَيشاً أنَّ خيرَ نَديمَها وأكرمَ من يمشي بساقٍ على قدمِ
ثوى يومَ بدرٍ رَهْنَ خَوصاءَ رهنُها كريمُ المساعي غيَر وغدٍ ولا بَرمِ

إلا أنه لا يندرج ضمن بحثنا، فقد افتقد شرط الابتداء والمطلع والغرض فهو رثاء صريح في شخصية مشركة اشتهرت بالعداء والمجاهرة به لشخص الرسول وللدين الإسلامي الحنيف.

ويندرج قول أبي محجن الثقفي في ذات السياق أعلاه من حيث فقدان الابتداء والغرض فهو خارج إطار بحثنا، إذ يقول (العسكري، ١٩٧٠م، ٢٥):

أبلغْ لديك أبا حفصٍ مُغَلغَلَةً عَبْدَ الإلهِ إذا غارَ أو جلسا

ومن خلال جرد وإحصاء معظم النصوص التي احتوت بين طياتها على إحدى مفردات الإبلاغ الشعري في غرض الهجاء، نجد أنها تنقسم إلى نوعين رئيسيين، يخالطهما نزر يسير استخدم فيه الإبلاغ لأغراض ثانوية، وهما الهجاء الشخصي –وهو الأكثر شيوعاً واستخداماً– والهجاء القبلي وغلبت عليه سمة المقطوعات ولا نجد إلا ثمة قصيدتين أو ثلاث في أفضل الأحوال ولأسباب عديدة، فعلى سبيل المثال القصيدة الهمزية ومنها بيت شعري أكثر تميزاً قد تضمن مفهوم الإبلاغ الشعري بشكله الصريح الذي يقول فيه (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٦٣):

ألا ابلِغْ أبا سُفْيَانَ عَني فأمْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَواءُ

فعلى الرغم من نعت المهجو بمجموعة من الصفات التي تتضافر لتكوين صورة مركبة، تفضي إلى معرفة الصورة الكلية حسية كانت أو معنوية (العطوي، ٢٠١٣م، ٣٣) منها ((مجوف نخب، هواء)) ... والتي تدل على استهزاء قاتل في المهجو مكوناً صورة دلالية على الضعف والخوار في التفكير والإصرار والعزيمة، وكل ذلك حاصل من خلال استدعاء الإبلاغ في بداية البيت الشعري، إلا أنها تستبعد من البحث وإن كانت إسلامية كما يرى ابن هشام، ومما رواه أبو عمرو الشيباني، إلا أن مقدمتها قد قيلت في الجاهلية على الأرجح (أبو الخير، (أبو الخير، ٢٠٠٧م، ٣٨٥– ٣٨٦) الأمر الآخر الذي يجعلنا نتبنى خيار الاستبعاد هو عنوان بحثنا فلم يأتِ الإبلاغ في الابتداء، فقد حشد الشاعر ثلاث لوحات في اللوحة الطلليّة والغزلية والخمرية، فجاءت حافلةً بالألوان والأطياف... وبذلك خرج الشاعر عن عرف الشعر الجاهلي وتمرد على تقليد من تقاليد المقدمة (الحبيب، ٢٠٠٩م، ٦– ٧)، من خلال التنقل بين اللوحات الثلاث.

أ: الهجاء الشخصي من خلال استدعاء الإبلاغ الشعري:

يختلف الهجاء الشخصي عند حسان بن ثابت الانصاري عن غيره من الشعراء وتحديداً المعاصرين له، فهو لا يهجو الأشراف والوجهاء تعرضاً بقصد التكسب كحال الحطيئة، وإن هجا

فلا يفحش ولا يمجن في شعره (حسين، د.ت ٩٧-٩٩)، وإنما ينتخب في هجاءه أشخاص بعينهم لهم تأثير ودور سلبي على الدعوة الإسلامية فيتناولهم شعراً ناشراً مثالبهم، مذيعاً لاختيارهم في المجالس والندوات مُذكراً، وناقماً، وناقداً، ومتوعداً، ومنهم ربيعة بن الحارث وأخاه نوفلاً إذ يقول فيهما (البرقوقي، ١٩٨٠م، ١٢٨):

أبلغ ربيعة وابن أمه نوفلاً إني مصيب العظم لم أصْفَح

إلى أن يقول:

إنّ الخيانةَ ، والمغالةَ ، والخنا واللّؤمَ أصْبَحَ ثاوِياً بالأبْطَحِ
قَوْمٌ، إذا نَطَقَ الخَنَا نَادِيهمُ تبعَ الخنا، وأضيعَ أمرُ المصلحِ
أَهَجَوتَ حَمزَةَ أَن تُوَفِّيَ صابِراً وَنَفاكَ أَهلُكَ كَالرِئالِ الزُّزَّحِ

إذ استخدم الشاعر الإبلاغ الشعري من خلال فعل الأمر (أبلغ)، وهو ما يجعل مدخل القصيدة يوحي بشيء من الجدة والصرامة، وحتى يصل الأمر إلى العداوة بين الشاعر والمهجو، والأمر واضح بسبب هجاء المهجو لشخص عرف بدفاعه عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} وهو سيدنا حمزة {رضي الله عنه}, ويعزز الشاعر من خلال الإبلاغ تهديده, بقوله ((مصيب العظم)) كناية عن قوة كلمته وشدة تأثيرها في الخصوم كرد طبيعي على فعل فاضح قام به المهجو, أما القصيدة الثانية التي ابتدئها حسان أيضاً بفعل الإبلاغ "ابلغ" مخاطباً أبا قيس بن الأسلت القيسي فهي خارج إطار بحثنا؛ لأنها لا تدخل ضمن الفترة الإسلامية وإنما جاءت بما كان بين الأوس والخزرج قبل الإسلام, والحرب القبليّة الدائرة بينهم التي يقول فيها (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٤٧٧):

ألا أبلغ أبا قبيس رسولاً إذا ألقى لهما سمعاً تُبينُ

وبها ينتهي الهجاء الشخصي عند حسان الذي ورد ضمن القصائد الشعرية، أما في المقطوعات فهو متجذر في شعره، متنوع في تناوله لاشخاص وذوات ومنهم صفوان بن أمية (الذهبي، د.ت ٥٦٣/٢)، إذ يقول فيه (البرقوقي، ١٩٨٠م، ١١١):

مَن مُبلغٌ صَفوانَ أَنَّ عَجوزَهُ أَمَةٌ لِجارَةِ مَعمَرِ بنِ حَبيبِ
أَمَةٌ يُقالُ مِنَ البَراجِمِ أَصلُها نَسَبٌ مِنَ الأَنسابِ غَيرُ قَريبِ
سائِل بِحَنبَلَ إِن أَرَدتَ بَيانَها ماذا أَرادَ بِخُربِها المَنقوبِ
لَولا السفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ لَتَرَكْتُها تَحْبو على العُرْقوبِ

فمن خلال المصدر من فعل الإبلاغ (مبلغ) يتحدث الشاعر عن هجاء صفوان، فينيط به صفة العبودية التي لحقته من أمه، ولكي تظهر الصورة جلية لم يكتفِ بالذم في النسب من حيث الأصل، يوجه نظر المتلقي إلى التصديق الجازم من خلال سؤال ابنهما ثم النظر إلى شقوق آذانهما

المثقوبة (صورة المهجو، ٢٤)، قاصداً بذلك تكوين صورة ذهنية تعطي انطباعاً على عبودية المهجو غير قابلة للتكذيب، تحط من مكانته، وتلثم من ثقته واعتزازه.

ومن الهجاء بالنسب إلى الانتقاد إلحاد في العناد وعدم التصديق بالدين الإسلامي، إذ يقول في أبي الضحاك بن خليفة الأشهلي (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٢٠٣):

أَلا أَبلِغِ الضَحّاكَ أَنَّ عُروقَهُ أَعيَت عَلى الإِسلامِ أَن تَتَمَجَّدا
أَتُحِبُّ يُهدانَ الحِجازَ وَدينَهُم كَبِدَ الحِمارِ وَلا تُحِبُّ مُحَمَّدا
وَإِذا نَشا لَكَ ناشِئٌ ذو غِرَّةٍ فَهُ الفُؤادِ أَمَرتَهُ فَتَهَوَّدا
لَو كُنتَ مِنّا لَم تُخالِف دينَنا وَتَبَعتَ دينَ عَتيكَ حينَ تَشَهَّدا
ديناً لَعَمرُكَ ما يُوافِقُ ديننا ما اِستَنَّ آلٌ بِالبَدِيِّ وَخَوَّدا

ولموقف يعلمه الشاعر في تصرف المهجو وسلوكه نتج صراع حقيقي مليء بالكراهية والخصومة بين الاثنين، إذ ((استعمل الشاعر فعل التبليغ (أبلغ) لإيصال كلامه للمهجو، إذ عمل على انزياح فعل الأمر من دلالة الأمرية إلى دلالة الالتماس نتيجة الاستنكار والغضب)) (الركابي، ٢٠٢١م: ٧)، ساخراً بسلوكه في محبة دين اليهود، مكنياً ذلك بـ (كبد الحمار) كدليل على البلادة والغباء في العناد والنكاية في الدين الذي جاء به سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وكدليل على السخرية والتعيير يفترض الشاعر أن المهجو يسعى إلى تهويد حتى الأطفال الناشئين الصغار على اليهودية التي تجري في عروق جسده.

ويعمل فعل الإبلاغ (أبلغْ) دوراً مهماً في توجيه أسهم الهجاء الشخصي المباشر والذي يحمل بين طياته التهديد والوعيد ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت للحارث بن هشام (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٣٧٣):

أَلا أَبلِغ أَبا مَخزومَ عَنّي وَبَعضُ القَولِ لَيسَ بِذي حَويلِ
أَما وَأَبيكَ لَو لَبَّثتَ شَيئاً لَأَلحَقَكَ الفَوارِسُ بِالجَليلِ
وَلَكِن قَد بَكيتَ وَأَنتَ خِلوٌ بَعيدُ الدارِ مِن عَونِ القَتيلِ

إذ يستدعي الشاعر الإبلاغ الشعري عبر فعله الأمري، قاصداً بذلك إيصال المعنى المراد، والذي يؤثر بشكلٍ مباشرٍ في نفس المهجو، ويبقى عالقاً في ذاكرته، واضعاً المصداقية على سلم أولويات حديثه والتي تشير إلى الجدية والضراوة في العداوة في آن واحد، ليدخل إلى صلب التهديد ومضمون الوعيد من خلال السخرية المقيتة في المهجو، إذ يتحدث عن عدم انتظاره من خلال حرف الشرط "لو"، وهنا يشير الشاعر إلى امتناع المهجو في البقاء، فأمتنع القتل عنه، أما البيت الأخير فهو مليء بالسخرية الدالة على الضعف والخور لدى المهجو، إذ لم يستطع البكاء قرب

أهله وأصحابه أو داره وإنما بعيداً عنهم جميعاً، كناية عن الفرار والابتعاد عن الدار من هول ما شاهد من القتلى في يوم المعركة.

ويستخدم حسان بن ثابت الإبلاغ الشعري في الهجاء الشخصي ويشير إلى عصبة الفرد المهجو كجزء من العقاب النفسي في الطعن في تصرفات جماعته ومن ذلك ما قاله في عبيد بن نافذ بن أصرم من الأوس (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٣٩٩):

أَبلِغ عُبَيداً بِأَنَّ الفَخرَ مَنقَصَـةٌ في الصالِحينَ فَلا يَذهَب بِكَ الجَذَلُ
لَمّا رَأَيتُ بَني عَوفٍ وَإِخوَتَهُـم كَعباً وَجَمـعَ بَني النَجّارِ قَد حَفَلوا
قَومٌ أَباحوا حِماكُم بِالسُيوفِ وَلَم يَفعَل بِكُم أَحَدٌ في الناسِ ما فَعَلوا
إِذ أَنتُمُ لا تُجيبونَ المُضافَ وَإِذ تُلقى خِلالَ الدِيارِ الكاعِبُ الفُضُلُ

إذ يستعمل الشاعر الإبلاغ الشعري بشكله الصريح والمباشر، مخاطباً المهجو بأن افتخاره مثلبة تقدح فيه اولاً، فلا يبالغ في فرصه و، مذكراً إياه بما فعله بني النجار استباحة حمى المهجو، والفعل الذي لم يفعله أحد من قبلهم، واصفاً بذلك أهم خصلة دنيئة يتميز بها جماعة المهجو وهي البخل في عدم استضافة من يلجئ اليهم فلا يجد في منازل إلا النساء والتي تتزين ويظهرن ما عليهن من فتنة ، يبدينها للقادمين في صورة أخرى من الهجاء غير المباشر تطعن في وجدان المهجو وترسم صورة انطباعية عن تصرف مشين يخالف العرف والطبع السائد في الجزيرة العربية.

ويستعمل الشاعر الإبلاغ الشعري في الدفاع عن أنموذج الدعوة الإسلامية مع أقرب الناس إلى النبي محمد (صلى الله عليه سلم) ومن ذلك ما قاله في أبو لهب (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٤٦٥):

أَبا لَهَبٍ أَبلِغ بِأَنَّ مُحَمَّداً سَيَعـلو بِما أَدّى وَإِن كُنـــتَ راغِما
وَإِن كُنتَ قَد كَذَّبتَهُ وَخَذَلتَهُ وَحيداً وَطاوَعتَ الهَجينَ الضُراغِما
وَلَو كُنتَ حُرّاً في أُرومَةِ هاشِمٍ وَفي سِـرِّها مِنـهُم مَنَعـــتَ المَظالِما
وَلَكِـــنَّ لِحـياناً أَبـوكَ وَرِثـتَهُ وَمَأوى الخَنا مِنهُم فَدَع عَنكَ هاشِما
سَمَت هاشِمٌ لِلمَكرُماتِ وَلِلعُلى وَغـودِرتَ في كَأبٍ مِنَ اللُؤمِ جاثِما

يستعمل الشاعر الإبلاغ الشعري عبر تقديم الشخص المهجو والفعل (أبلغ) الذي يحمل إشارة الأمر الذي جاء بمحض التذكير والوعيد وتقديم الاسم من خلال أسلوب النداء المحذوف، إذ أراد الشاعر بهذا إبراز الاسم، والتذكير بفعله مع النبي ومعادته للدعوة الإسلامية وأنه سيعلو – سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم– رغم كره وحقد المهجو لهذه الحقيقة، من خلال أفعاله من التكذيب بحقيقة الوحي، والوقوف بجانب الخصوم على الرغم من صلة القربى بينهما، وما مرد ذلك إلا إلى سوء طبع المهجو ووضاعة نفس مليئة بالحسد، للمكانة التي بات فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أما البيت الأخير فهو للتصبر وازالة الضغوط النفسية، من خلال المآل التي

ستصبح عليها الدعوة الاسلامية من خلال الأفعال (تسمو– تعلو) التي تدل على الرفعة والشموخ، بينما الجهود الثانية في معاداتها فإنها ذاهبة إلى الخيبة والخذلان وأيضاً من خلال الأفعال (غودر– أي يوم) التي تدل جميعها على سوء الحل والضعف والانهزام.

ب: الهجاء القبلي من خلال الإبلاغ الشعري عند حسان بن ثابت:

مما لا شك فيه أن الشاعر حسان بن ثابت (رضي الله عنه) قد انتج منهجاً قد خطه لنفسه في مقارنة الخصوم سواء في الجاهلية او الإسلام، فقد كانت القبيلة عند حسان هي الكيان السياسي والاجتماعي في آن واحد (العطوي، ٢٠١٣م، ٣٩)، والقارئ لشعره يجد ذلك واضحاً من خلال مدح أفراد عشيرته أو قبيلته والتغني بشجاعتهم وإقدامهم في المعارك، وتفضيل نسبهم الذي يعود بالضرورة لنسب الشاعر، وكيل المدح له بالعراقة والأصالة، وذم الأعداء والتصدي لهم.

وحسان من خلال المكان الذي يسكن، قد حصل له تغيير جذري في فكره ومعتقده، إذا استبدل فكرة القبيلة بشيء أسمى وهو الدين الإسلامي فعلى الرغم من أن حسان قد بذل للقبيلة الغالي والنفيس، وبين جميل صوره وأروع إبداعاته في مدحها والدفاع عنها، إذ حصل له تغيير في اعتقاده استمسك به بوصفه الحصن الأوثق والظل المستدام الذي ينعم فيه وعليه ، ويؤمن بعدم انقسامه أو إيمانه المطلق باختلاف هذا الدين عن غيره من الديانات الأخرى، إذا انطلق شاعرنا دفاعاً ومدحاً وهجاءً في رحلته الخالدة اثناء صناعة التاريخ الإسلامي ومجريات الأحداث ،والذي كان حسان بن ثابت أحد أبطالها ولسان الدعوة الإسلامية فيها ، ومن خلال بيئة المدينة المنورة كانت البدايات في تناول الأحداث وتوثيقها بكلماته الخالدة وصوره النادرة، إذ تميز بأساليب متنوعة منها الهجاء عبر الإبلاغ الشعري في هجاء القبائل في ديوانه ، إذ جاءت بواقع (سبعة) نصوص فقط ، أربعة مقطوعات وثلاث قصائد، ويخرج عن إطار بحثنا (٣) نصوص قصيدتان ومقطوعة واحدة، الأولى في رثاء خبيب بن عدي الانصاري التي يقول فيها (البرقوقي، ١٩٨٠م، ١٠٩–١١٠):

يا عَينُ جودي بِدَمعٍ مِنكِ مُنسَكِبِ وَابكي خُبَيباً مَعَ الغادينَ لَم يَؤُبِ

إلى ان يقول فيها مستخدماً الإبلاغ الشعري:

يا أَيُّـــها الراكــبُ الغادي لِطِـيَّتِهِ أَبلِـغ لَدَيكَ وَعيـداً لَيسَ بِالكَـذِبِ
يا اِبنَي فُكَيهَةَ إِنَّ الحَربَ قَد لَقِحَت مَحلـوبُها الصابُ إِذ تُـمرى لِمُحتـَلِبِ
فيها أُســودُ بَني النَجّــارِ يَقدُمُهُم شُهبُ الأَسِنَّةِ في مُعصَوصِبٍ لَجِبِ

فعلى الرغم من احتواء النص الشعري – المقطوعة– الإبلاغ الشعري بصفته المباشرة، وحمل معاني التهديد والوعيد من خلاله، إلا أنه يخرج عن إطار بحثنا فلم يأتي في المطلع أو

الابتداء، واختلف الغرض إذا كانت المقطوعة في الرثاء، وأن دلالة الإبلاغ تذهب إلى الأخذ بحق خبيب من قبيلة كاملة (بني فكيه).

أما القصيدة الثانية فقد استخدم فيها الفخر والتمييز عن الأقران أمام القبائل، والتي استخدم فيها الإبلاغ الشعري مناطاً لكل من سمع أو تحدث بمضمون قصيدته التي يقول فيها (البرقوقي، ١٩٨٠م، ١٦٩- ١٧٠):

أَلا أَبلِغِ المُستَمِعينَ لِوَقعَةٍ تَخِفُّ لَها شُمطُ النِساءِ القَواعِدُ

إلى أن يقول:

أَنا الزائِرُ الصَقرَ اِبنَ سَلمى وَعِندَهُ أُبَيٌّ وَنُعمانٌ وَعَمروٌ وَواقِدُ
فَأَورَثَنا مَجداً وَمَن يَجنِ مِثلَها بِحَيثُ اِجتَناها يَنقَلِب وَهوَ حامِدُ
وَجِدّي خَطيبُ الناسِ يَومَ سُمَيحَةٍ وَعَمّي اِبنُ هِندٍ مُطعِمُ الطَيرِ خالِدُ

إذ استخدم الإبلاغ الشعري لغرض الفخر والاعتداء بالنفس، منوهاً بتاريخ أصيل لشخصه وأهله من اتصال بملوك ومآثر آباء وأجداد، ومع جمالها وقوتها الصورية إلا أنها خارجة عن إطار بحثنا، فهي من أوضح الواضحات جاهلية قيلت قبل الإسلام.

أما القصيدة الثالثة فهي في رثاء سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهي إسلامية خالصة إلا أنه استخدم فيها الإبلاغ في قرابة النهاية، وبذلك فقدت شرط المطلع أو الابتداء، والتي يقول فيها (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٢٣٩- ٢٤١):

أَبلِغ بَني بَكرٍ إِذا ما جِئتَهُم ذَمّاً فَبِئسَ مَواضِعُ الإِصهارِ
غَدَروا بِأَبيَضَ كَالهِلالِ مُبَرَّءٍ خَلَصَت مَضارِبُهُ بِزَندٍ وارِ

وتجدر الإشارة إلى أن الهجاء القبلي عند حسان في عهد الدعوة قد طرأ عليه بعض التغيير، إذ اتجه نحو ذكر المعاني المعنوية والحسية التي تحط من كرامة الانسان ، ومن ذلك ما قاله في زهير بن الاغر وجامع وهما من هذيل بن مدركة بعد عهد قد قطعاه لخبيب (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٤٥٧):

أَبلِغ بَني عَمرٍ بِأَنَّ أَخاهُمُ شَراهُ اِمرُؤٌ قَد كانَ لِلغَدرِ لازِما
شَراهُ زُهَيرُ بنُ الأَغَرِّ وَجامِعٌ وَكانا قَديماً يَركَبانِ المَحارِما
أَجَرتُم فَلَمّا أَن أَجَرتُم غَدَرتُمُ وَكُنتُم بِأَكنافِ الرَجيعِ لَهاذِما
فَلَيتَ خُبَيباً لَم تَخُنهُ أَمانَةٌ وَلَيتَ خَبيباً كانَ بِالقَومِ عالِما

إذ استعمل الشاعر فعل الإبلاغ (أبلغ)، وهو هنا يريد إعلام بني عمرو (صلة القربى بينهم وبين خبيب)، ومن خلال هذا الإبلاغ يحيطهم معرفة وإدراكاً بما حل بأخيهم، والشاعر يورد كلمة الشراء قاصداً البيع ومتهماً بذلك زهير بن الأغر وجامع قد باعوه إلى رجلٍ لازم الشر منذ نعومة

أظفاره، ثم يعود إلى أصحاب البيع الأول ويقدح بهم هجاءً وذماً وتذكيراً بماضيهم الذي كانوا يفعلون به المحارم، ليعطي بذلك صورة انطباعية عن حقيقة الرجلين، ثم يشرع في بيان فعلهم، ويعمل على تعريته، أولاً بالإجارة ثم الغدر به ويشير صراحة أن هذا العمل ليس بغريب على امتهن اللصوصية والسرقة عند بئر الرجيع، ويبدي تفجعه على ما حل بخبيب من خلال التمني، والذي صدق بالمواثيق والعهود التي أعطيت له، ويرجو أن يكون عارفاً بهم وبطباعهم.

ويستعمل حسان بن ثابت في الهجاء القبلي أسلوب الانتداب في هجاء الفرد من خلال ابلاغ وإعلام القبيلة التي ينتمي إليها المهجو، لذا نجده حاذقاً وماهراً في التعامل أشخاص أظهروا البغضاء والعداوة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ومن ذلك ما قاله في أبي سفيان (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٤٦٦- ٤٦٧):

يا راكِباً إمّا عَرَضتَ فَبَلِّغَن ... عَلى النَأيِ مِنّي عَبدَ شَمسٍ وَهاشِما
هَلّا أَمَرتُم حينَ حانَ هَجينُكُم ... بِشَتمِ سِوى حَسّانَ إِن كانَ شاتِما
ثَكِلتُ اِبنَتي إِن لَم يُقَطِّعكَ ماجِدٌ ... حُسامٌ يَرُدُّ العَيرَ مِثلَكَ واحِما
وَإِن لَتَم تَقُل سِرّاً لِنَفسِكَ إِنَّني ... أَصَبتُ كَريماً ثُم أَصبَحتَ نادِما
تَخَيَّر ثَلاثاً كُلُّهُنَّ مَهانَةٌ ... سَلاسِلُ أَغلالٍ تَشينُ المَقادِما
وَتُترَكُ مِثلَ الكَلبِ يَملُجُ أَيرَهُ ... وَتَنزِعُ مَحسوراً وَتَقعُدُ آثِما

فعلى الرغم من أن الشاعر قد استخدم الإبلاغ الشعري إلا أنه استخدم الانتداب قبلها، – وهو أسلوب شعري قديم– ولكن واقع هجاء أبي سفيان هو الدفاع عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، إذ يهجو الفرد –أبو سفيان– بعلم عبد شمس وهاشماً لما أحدثه في إظهار العداوة والبغضاء للدعوة الإسلامية، وحسان أبرز رموزها فهجاء حسان لشخص لكنه موجه القبيلة، عبر وصفه ب (الهجين) الذي حان هلاكه ودنى، ثم يظهر الشاعر استخفافه واحتقاره لكلام المهجو عبر إظهار عدم التأثر أو الاكتراث بقوله –إن كان شاتماً– لقناعته التامة عبر استخدام يمين (ثكلت ابنتي) في إشارة إلى مصداقية الدعوة الإسلامية وذكر صفة نبيها (ماجدٌ– كريمٌ) في حتمية الرد والإنكار القولي والفعلي لفعل المهجو الأول الذي كان الأساس في بناء النص الشعري.

ونلحظ ان هجاء حسان القبلي عادة ما يكون ردة فعل على هجاء أناس ينتمون إلى عشيرة أو قبيلة معينة، ليرد على القبيلة وعلى شاعرها، وجعلهم مثار سخرية لكل يقرأ أو يسمع بشعره، ومن ذلك ما قاله في بني الديان (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٤٨١- ٤٨٢):

أَلا أَبلِغ بَني الدِيانِ عَنّي ... مُغَلغَلَةً وَرَهطَ بَني قَنانِ
وَأَبلِغ كُلَّ مُنتَخَبٍ هَواءٍ ... رَحيبِ الجَوفِ مِن عَبدِ المَدانِ
مَيامِسُ غَزَّةٍ وَرِماحُ غابٍ ... خِفافٌ لا تَقومُ بِها اليَدانِ

تَفاقَدتُم عَلى ما هَجَوتُموني وَلَم أَظلِم وَلَم أُخلَس بَياني

إذ استخدم فعل الإبلاغ، وكذلك (مغلغلة) قاصداً بذلك الإعلام والتخصيص، وكل شخص حاله كحال بني الديان ورهط بني قيان من الخوف والجبن، في إشارة مليئة بالسخرية، مشبهاً اشعارهم بميامس غزة ورماح غاب واصفاً إياها بالضعف والركاكة، مذكراً إياهم أنهم من بدأوا في هجاءه، مبرأ نفسه منهم ومن ظلم أحد غيرهم، ولعل البيت الأخير قاصداً به أنه لا يعجز عن هجائهم من خلال بياني وقول الشعر.

وتجدر الإشارة إلى أن حسان بن ثابت وظف الإبلاغ الشعري في أغراض ثانوية غير الهجاء، وتكاد تكون لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، وتحديداً أربعة نصوص شعرية، جاءت بقصيدتين ومقطوعتين وإحدى القصائد تخرج عن إطار بحثنا، إذ أفقدت شرط الابتداء، والتي يقول في مطلعها (البرقوقي، ١٩٨٠م، ١٦٠):

أَمسى الجلابيبُ قَد عُزّوا وَقَد كَثَروا وَابنُ الفُرَيعَةِ أَمسى بَيضَةَ البَلَدِ

إلى أن يقول في خاتمتها (البرقوقي، ١٩٨٠م، ١٦٢):

بَلِّغ عُبَيداً بِأَنّي قَد تَرَكتُ لَهُ مِن خَيرِ مـا يَترُكُ الآباءُ لِلوَلَدِ
الدارُ واسِطَةٌ وَالنَخلُ شارِعَةٌ وَالبيضُ يَرفُلنَ في القَسّيِّ كَالبَرَدِ

و(عبيد) هو عبد الرحمن ابن حسان، فعلى الرغم من صراحة الإبلاغ الشعري إلا أنه جاء متأخراً، ووضعه الشاعر لأغراض ثانوية، أهمها الفخر الشخصي لما تركه لولده، من خلال الكتابة (الدار واسعة) كناية عن الكرم والوفرة في الخير، و(النخل شارعة) كناية عن نهج واحد أو قريبة الجنى والقطوف، و (البيض) كناية عن النساء، إلا إنها خارج إطار بحثنا، كونها افتقرت شرط الابتداء والغرض.

ويستعمل الشاعر الإبلاغ الشعري لأغراض ثانوية فاعلة في وقت الحرب، وتأتي أكلها على المدى القريب والبعيد، ومن ذلك ما قاله في ربيعة أبو براء ملاعب الاسنة (البرقوقي، ١٩٨٠م، ١٦٣):

أَلا مَن مُبلِغٌ عَنّي رَبيعاً فَما أَحدَثتَ في الحَدَثانِ بَعدي
أَبوكَ أَبو الفَعالِ أَبو بَراءٍ وَخـالُكَ ماجِـدٌ حَكَمُ بنُ سَعـدِ
بَني أُمِّ البَنينِ أَلَم يَرُعكُم وَأَنتُم مِن ذَوائِبِ أَهلِ نَجدِ
تَهَكّــمُ عامِرٍ بِأَبي بَراءٍ لِيُخفِرَهُ وَما خَـطَأٌ كَعَمدِ

إذ استعمل الشاعر الإبلاغ الشعري من خلال مصدر الكلمة (مبلغ) الغرض الثانوي وهو التحريض الصريح ضد عامر بن الطفيل، وقد أتى أكله في النهاية، من خلال كيل المدح عبر النسب بالأب والخال بعد توجيه الإبلاغ الشعري الى المخاطب (ربيعة)، معدداً تاريخ قبيلته بما

كانوا عليه في السابق (ذوائب– الاشراف)، ليتم بذلك غرضه الأساسي (التحريض) من خلال إيراد تهكم عامر بن الطفيل، عامداً بذلك إلى إيصال صورة ذهنية تدل على الإهانة والامتهان والذل.

وقد استعمل الشاعر الإبلاغ الشعري في مفاتحة الولاة، بأمور تتعلق بغايات ومعاني، يحاول فيها الشاعر سحب المخاطب إلى الميدان الذي يرمي إليه ومن ذل ما قاله مخاطباً معاوية بن حرب (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٢٧٦– ٢٧٧):

أَبلِغ مُعاوِيَةَ اِبنَ حَربٍ مَألُكاً وَلِكُلِّ أَمرٍ يُستَرادُ قَرارُ
لا تَقبَلَنَّ دَنِيَّةً أَعطَيتُها أَبَداً وَلَمّا تَأتَمِ الأَنصارُ
حَتّى تُبـــارَ قَبيلَةٌ بِقَبيلَةٍ قَوَداً وَتُخرَبَ بِالدِيارِ دِيارُ
وَتَجيءَ مِن نَقبِ الحِجازِ كَتيبَةٌ وَتَسيلَ بِالمُستَلئِمينَ صِرارُ

وغرض الشاعر من الإبلاغ الشعري إيصال رسالة مفادها الرفض على المقترح، وحضه على الأخذ بالثأر، ولو تغنى قبيلة بقبيلة وهي صورة انطباعية عن هول المعارك وقوتها، ومحرضاً المخاطب على القصاص، من خلال دلالة المفردة (ديار – بديار)، داعياً إلى جلب الكتائب من نقب الحجاز، كي تدك معاقل المدعين بالإسلام، دون الإيمان بحقيقة عقيدته في إشارة واضحة إلى قتلة سيدنا عثمان بن عفان، حتى تحدث لهم حرير يخلل حفوفهم ويمزق شملهم، من هول ما يلقونه من بطش وقو يأس هذه الكتائب.

والنص الأخير الذي حمل الإبلاغ الشعري، جاء الغرض ثانوي، وهو الفخر من خلال محاكاة الديار إذ يقول (البرقوقي، ١٩٨٠م، ٢٩٠):

لمن الدارُ أقفرت ببواطِ غير سفعٍ رواكدٍ كالغطاط

وبعدها في بيتين:

بلغاها بأنني غير راعٍ للذي حملت بغير افتراطِ

فبالرغم من احتواء النص على الإبلاغ الشعري بصورته الكلية، إلا أن القصيدة بكاملها جاهلية بامتياز من حيث الشكل والمضمنون وبذلك تخرج عن إطار بحثنا.

الخاتمة

بعد الانتهاء من استقرار الإبلاغ الشعري في شعر حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لا بد من إيجاز أبرز النتائج التي توصلنا إليها:

١. إن ميل حسان بن ثابت إلى الإبلاغ الشعري كان لغاية فنية خالصة ، تخلص فيها من ترسبات التراث الشعري، واستجابة للفترة التاريخية التي أصبح فيها لسان حال الدعوة الإسلامية.

٢. إن الشاعر حسان بن ثابت قد خصص الإبلاغ الشعري لغرض واحد وهو الهجاء، أما بقية الأغراض فقد جاءت نادرة جداً.
٣. احتاج الشاعر حسان بن ثابت في عملية الهجاء الشخصي من خلال الإبلاغ الشعري إلى قرينة أو دليل يعضد هجاءه، ويستند إليه في إكمال الصورة الذهنية التي يريد إيصالها إلى المتلقي.
٤. لا يستخدم حسان بن ثابت الهجاء القبلي إلا أن يكون قد تم هجاءه من قبل، فيكون الهجاء القبلي عند حسان ردة فعل على فعل أول.
٥. كان الإبلاغ الشعري في شعر حسان بن ثابت أسرع نفاذا وقوة في إثارة المعاني ذات الأبعاد الجاهلية ، والتي تحاكي عقلية المشركين ، فلم يتورع من ذكر العورات والمثالب والألقاب .
٦. ينقسم الإبلاغ الشعري في شعر حسان بن ثابت إلى قسمين بحكم السياق الوارد فيه ، الإبلاغ الشخصي ، والقبلي .
٧. استخدم حسان بن ثابت الإبلاغ الشعري نتيجة النضج الفكري والزيادة في الوعي الذي طرأ عليه ، فلم يعد ينظر إلى الأوس والخزرج نظرة قبلية ، وإنما يبلغ ويعلن ويشهر ويخبر عن المهاجرين والأنصار جديد مآثرهم ، ونشر تعاليم الدين الإسلامي ، ويجل ويعظم وقائعهم بوصفه لسان حالهم .

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير، (د.ت) .*المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر* (تقديم أحمد الحوفي وبدوي طبانة). دار نهضة مصر.
القيرواني، ابن رشيق. (١٩٨١) .*العمدة في محاسن الشعر وآدابه* (تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا). دار الكتب العلمية.
الأنصاري، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. (د.ت) .*لسان العرب* (تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين). دار صادر.
أبو الخير، محمود عبد الله. (٢٠٠٧م). مقدمة القصيدة الإسلامية عند حسان .*مجلة جامعة الإمام*.
البخاري، محمد بن إسماعيل. (د.ت) .*صحيح البخاري*.
البربوقي، عبد الرحمن (محقق) .(1980) .*ديوان حسان بن ثابت الأنصاري* .دار الأندلس.

البلداوي، عدنان عبد النبي .(1983) .*مضمون الرسائل الشعرية في الجاهلية والإسلام* .مطبعة الأديب البغدادية.

الجاحظ .(2002) .*البيان والتبيين* .دار ومكتبة الهلال.

القرطاجني، حازم .(1986) .*منهاج البلغاء وسراج الأدباء* (تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة). دار الغرب الإسلامي.

الحبيب، معروف. (٢٠٢٣). جماليات الاستهلال في القول الشعري القديم والمحاكمات النقدية الكلاسيكية حولها . *مجلة جسور المعرفة*.

حسان، أمل سلمان. (٢٠١٩). المطالع الشعرية: إشكالية المصطلح وتطوره .*مجلة كلية التربية – جامعة واسط*.

الدينوري، ابن قتيبة .(2002) .*الشعر والشعراء* .دار الحديث.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني .(2001) .*تاج العروس من جواهر القاموس* (تحقيق جماعة من المختصين). وزارة الإرشاد والأنباء – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

السامرائي، عبد العظيم فيصل صالح .(2005) .*الرسائل الشعرية في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي: دراسة موضوعية فنية*)أطروحة دكتوراه، جامعة تكريت.(

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل. (١٩٧٠) .*الفروق اللغوية* (تحقيق محمد إبراهيم سليم). دار العلم والثقافة، القاهرة.

علي، محمد يونس .(2007) .*المعنى وظلال المعنى: أنظمة الدلالة في العربية* (ط٢). دار المدى الإسلامي.

كاطع، علي خلف .(2016) .*تأثير جودة الإبلاغ المالي عن الالتزامات المحتملة في تعزيز قيمة الوحدة الاقتصادية*)رسالة ماجستير، جامعة كربلاء.(

الكشناوي، أبو بكر بن حسن. (د.ت) .*أسهل المدارك: شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك* (ط٢). دار الفكر، بيروت.

resources

Ibn al-Athir. (n.d.). *Al-Mathal al-Sa'ir fi Adab al-Katib wa al-Sha'ir* (A. al-Hufi & B. Tabbana, Eds.). Dar Nahdat Misr.

Al-Qayrawani Ibn Rashiq. (1981). *Al-'Umda fi Mahasin al-Shi'r wa Adabihi* (M. A. A. 'A. 'Ata, Ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali Abu al-Fadl Jamal al-Din al-Ansari. (n.d.). *Lisan al-'Arab* (Al-Yaziji & a Group of Linguists, Eds.). Dar Sader.

Abu al-Khayr, Mahmoud Abdullah. (2007). *Muqaddimat al-Qasidah al-Islamiyyah 'inda Hassan*. Imam University Journal.

Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il. (n.d.). *Sahih al-Bukhari*.

Al-Barbuqi, Abdul Rahman (Ed.). (1980). *Diwan Hassan ibn Thabit al-Ansari*. Dar al-Andalus.

Al-Baldawi, Adnan Abdul Nabi. (1983). *Madhmun al-Rasa'il al-Shi'riyyah fi al-Jahiliyyah wa al-Islam*. Al-Adib Press (Baghdad).

Al-Jahiz. (2002). *Al-Bayan wa al-Tabyin*. Dar wa Maktabat al-Hilal.

Al-Qartajanni, Hazem. (1986). *Minhaj al-Bulaghā' wa Siraj al-Udaba'* (M. al-Habib Ibn al-Khouja, Ed.). Dar al-Gharb al-Islami.

Al-Habib, Ma'rouf. (2023). *Aesthetics of Opening Lines in Ancient Arabic Poetry and Classical Critical Debates About Them*. Jisour al-Ma'rifa Journal.

Hassan, Amal Salman. (2019). *Al-Matali' al-Shi'riyyah: The Problem of Terminology and Its Development*. Journal of the College of Education – Wasit University.

Al-Dinawari Ibn Qutaybah. (2002). *Al-Shi'r wa al-Shu'ara'*. Dar al-Hadith.

Al-Zabidi, Muhammad Murtada al-Husayni. (2001). *Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus* (A Group of Specialists, Eds.). Ministry of Information & National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.

Al-Samarra'i, Abdul Azim Faysal Salih. (2005). *Al-Rasa'il al-Shi'riyyah fi 'Asr Sadr al-Islam wa al-'Asr al-Umawi: A Thematic and Artistic Study* (Doctoral dissertation, Tikrit University).

Al-'Askari, Abu Hilal al-Hasan ibn Abdullah ibn Sahl. (1970). *Al-Furuq al-Lughawiyyah* (M. I. Salim, Ed.). Dar al-'Ilm wa al-Thaqafah.

Ali, Muhammad Yunus. (2007). *Al-Ma'na wa Zilal al-Ma'na: Nuzum al-Dalalah fi al-'Arabiyyah* (2nd ed.). Dar al-Mada al-Islami.

Kati', Ali Khalaf. (2016). *The Impact of Financial Reporting Quality on Contingent Liabilities in Enhancing the Value of the Economic Unit* (Master's thesis, University of Karbala).

Al-Kashnawi, Abu Bakr ibn Hassan. (n.d.). *As'hal al-Madarik: Sharh Irshad al-Salik fi Madhhab Imam al-A'immah Malik* (2nd ed.). Dar al-Fikr, Beirut.